﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ [الحج: 67]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من رام النّجاة؛ ركـب مركبها، وسلك مسالكها

لمّا عدَّد الله تعالى نعمه، وأبان للعباد منَّته عليهم وفضله، وأنَّه سبحانه الرؤوف ذو الرحمة، بيَّن أنَّ من مظاهر قدرته ودلائل رحمته سبحانه أن جعل لكلِّ قرنٍ من القرون السالفة منهجًا في العبادة وطريقة؛ فليس لأولئك الكارهين للإسلام أن يُشَكِّكوا في شيءٍ منه؛ فهو أظهر من أن يقبل نزاعًا على الحقيقة؛ وهم بين جاهل ومعاند ولمّا يفهموا جلَّه ولا دقيقه؛ ولمّا كان نهيه ﷺ عن منازعتهم يحمل معنى الإعراض عنهم بالكلّية؛ أمره سبحانه بإكمال مسيرة الدعوة، وتبيين الحقِّ للخلق؛ فهو الطريق إلى الهداية والاستقامة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُمَّةٍ﴾: (أمم) أصلٌ يدلُّ على القصد، مِن أمَمْتُ إلى الشَّيء إذا قَصَدْتَه[2]، يقال: لكلِّ ما كان أصلًا لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أمٌّ[3]، وكلُّ شيء يُضَمُّ إليه سائر ما يليه يُسَمَّى أُمًّا، مثل أمّ الرَّأس، وأمّ القرى، وأمّ الكتاب[4].

والأمَّة: الجماعة[5]، وكلُّ من يجمعهم أمرٌ ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا أو

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 78، والبقاعي، نظم الدرر: 13/ 88 - 90.
(2) الأزهري، تهذيب اللغة: (أمم).
(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أمم).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أمم).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (أمم).

اختيارًا، وجمعها: أُمَم[1]، وممّا هو بمعنى الجماعة يجمعهم دين واحد قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾؛ أي: لكلِّ جماعة أهل دين[2].

والأمَّة: القَرْنُ مِنَ النّاس، فيقال: قد مَضَتْ أُممٌ؛ أي: قُرونٌ، وأمَّة كلِّ نبيٍّ: مَنْ أُرسِل إليهم من كافر ومؤمن[3]، وكلُّ جنس من الحيوان أمَّة[4].

والأمَّة أيضًا: القائم مقام جماعة في عبادة الله، والرَّجل الذي لا نظير له، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل: 120][5].

2) ﴿مَنسَكًا﴾: (نسك) أصلٌ يدلُّ على العبادة مُطْلقًا من حجّ وغيره، وكلُّ تَقَرُّب إلى الله[6]، ونَسَكْتُ الشَّيءَ: غسلتُه بالماء وطهَّرتُه، فهو منسوك[7]، النُّسُك والنُّسْك: العبادة والطّاعة وكلُّ ما يُتَقرَّب به إلى الله، ورجل ناسِك: عابد؛ لأنَّه خلَّص نفسه وصفّاها من دنس الآثام، كالسَّبيكة المخَلَّصَة من الخَبَث، وقد نَسَك وتنسَّك؛ أي: تعبَّد[8]، والمناسك: مواقفُ النُّسُك والحجِّ وأعمالها، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[9].

والنَّسيكة: الذَّبيحة، والجمع: نُسُكٌ ونَسائكُ، ومنه تقول: نَسَكَ لله يَنْسُك نَسْكًا ونِسْكًا[10].

والمَنْسِك والمَنْسَك: الموضع الذي تُذبَح فيه النَّسائك، وقُرِئَ بهما قولُه تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[11]؛ أي: مُتعبَّدًا وشريعةً يتعبَّدون بها[12].

3) ﴿يُنَٰزِعُنَّكَ﴾: (نزع) أصلٌ يدلُّ على قلع الشَّيء وجَذْبه من مَقَرِّه بقوَّة[13]، نَزَعَ الشَّيءَ: جَذَبه من مَقَرِّه كنَزْع القوس عن كَبِده، ونَزعتُ الشَّيءَ من مكانه أنزِعُه نَزْعًا:

(1) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أمم).
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 78.
(3) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (أمم).
(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (أمم).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (أمم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نسك).
(7) الجوهري، الصحاح: (نسك).
(8) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نسك).
(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نسك).
(10) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نسك).
(11) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح: (نسك).
(12) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 78.
(13) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).

قلعته، وانتزعه فانتزع: اقتلعه، ويستعمل كذلك في الأعراض والمعاني، كما يقال: نَزْعُ العداوةِ والمحبَّةِ من القلب[1]، ومنه التَّنازع والمنازعة: المجاذَبَة في الأعيان والمعاني، ويعبَّر بهما عن المخاصمة والمجادلة، يقال: نازَعْتُه منازعة ونِزاعًا: جاذبته الحُجَجَ في الخصومة، وبينهم نِزاعَة؛ أي: خصومة في حقٍّ[2]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، المنازعة: المجادلة؛ لأنَّ كلًّا مِنَ المُتَجادِلَين يَنزع صاحبَه عن غرضه[3]، ومنه النَّزع عن الشَّيء: الكفُّ عنه، يقال: نَزَعَ عن الأمر نُزوعًا ونَزْعًا: انتهى عنه[4].

والنُّزوع: الاشتياق الشَّديد، وذلك هو المعبَّر عنه بارتحال النَّفس مع الحبيب، يقال: نَزَع فلانٌ إلى أهله يَنزِع نِزاعًا؛ أي: اشتاق إلى أهله[5].

4) ﴿ٱلْأَمْرِ﴾: (أمر) أصلٌ يدلُّ على نفاذ مع علوٍّ دونه جمع بشدَّة، فمن العُلوِّ مع النَّفاذ جاء الأمر الذي هو ضدُّ النَّهي، والذي بمعنى الحال والشأن صورة من صور الجريان المأخوذ من النَّفاذ[6]، يقال: أمْرُ فلانٍ مستقيمٌ وأموره مستقيمة، والأمر: الحادثة، والجمع أمور، لا يكسَّرُ على غير ذلك[7]، والأمر: الشأن والحال، وجمعه أمور؛ وكذلك مصدر أمَرْتُه؛ أي: كلَّفته أن يفعل شيئًا، وهو نقيض النَّهي، وجمعه: أوامر[8].

والمراد بالأمر في الآية: فلا ينازِعُنَّك أحدٌ منهم فيما شرع الله لأمَّتك، من أمر الذَّبائح أو أي أمر من أمور الدّين والنَّسائك؛ لأنَّهم إمّا جُهّال أو أهل عناد[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرنا المولى ﷻ في هذه الآية الكريمة أنَّه قد جعل لكلِّ أمَّة مِنَ الأمم الماضية شريعة خاصَّة بها، وموضعًا لعبادتها، وأداء مناسكها فيقول: لكلِّ أمَّة وجماعة قد خَلَتْ مِنْ قبلك

(1) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(2) الأزهري، تهذيب اللّغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(3) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نزع).
(4) الجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نزع).
(6) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (أمر).
(7) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (أمر).
(8) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (أمر).
(9) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 398، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 93، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 78.

يا محمد جعلنا شريعة لهم هم عاملون بها، وموضعًا للعبادة وأداء الفرائض هم لازموه؛ فلا يخاصمنَّك في أمر الذَّبائح وأداء المناسك والعبادات مشركو قومك، وادْعُ إلى الإيمان بربِّك وإلى توحيده وإخلاص العبادة له؛ إنَّك لَعَلى دينٍ وطريقٍ مستقيمٍ لا اعوجاجَ فيه[1].

لكلِّ أمَّة شرع قويم، وموضع لعبادة المولى الرَّحيم، فاثبت على الطَّريق المستقيم

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتة فصل الآية عن سابقتها:

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ كلام مستأنَف جيء به لزجر معاصري النَّبيِّ ﷺ من أهل الأديان السَّماويَّة عن منازعته ﷺ ببيان حال ما تمسَّكوا به من الشَّرائع وإظهار خطئهم في النَّظر[2].

جعل الله لكلِّ فريق شِرعة هم واردوها، ولكلِّ جماعة طريقة هم سالكوها

وفُصِل عن سابقه لعدم اتِّصاله به، فهذا استدلال على توحيد الله تعالى بما سبق من الشَّرائع لقصد إبطال تعدُّد الآلهة، بأنَّ الله ما جعل لأهل كلِّ ملَّة سبقت إلا منسكًا واحدًا يتقرَّبون فيه إلى الله لأنَّ المتقرَّب إليه واحد[3].

معنى اللّام في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ﴾:

الأصل في معنى (اللّام) أنَّها موضوعة للدَّلالة على الاختصاص[4]، وهذا هو المراد هنا، فقد خصَّ الله تعالى كلَّ قوم بمنسك لا يشاركهم فيه أحد، بما يناسب شرعهم وظرفهم ووقتهم، وهذا مِن البدائع في إحكام الشَّرائع.

تخصيص كلِّ قوم بمنسك هو من البدائع في إحكام الشَّرائع

فائدة تقديم شبه الجملة ﴿لِّكُلِّ﴾:

تقديم الجارِّ والمجرور ﴿لِّكُلِّ﴾ على الفعل للقَصر؛ أي: لكلِّ أمَّة بخصوصها قصرًا عليها، لا لأمَّة أخرى منهم، والكلام نظير قولك:

جعل الله لكلِّ مقام سكّانه، ولكلِّ محلّ قُطّانه، فربط كلًّا بما هو أهل له

(1) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 398 - 399، ومجمع الملك فهد، التفسير الميسر، ص: 1/ 340.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 327.
(4) الزمخشري، المفصل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المفصل: 4/ 479، والسامرائي، معاني النحو: 3/ 64.

لكلٍّ من فاطمة وزينب وهند وحفصة أعطيتُ ثوبًا خاصًّا إذا كنت أعطيتَ فاطمة ثوبًا أحمر وزينب ثوبًا أصفر وهندًا ثوبًا أسود وحفصة ثوبًا أبيض؛ فإنَّه بمعنى: لفاطمة أعطيتُ ثوبًا أحمر لا لأخرى من أخواتها، ولزينب أعطيتُ ثوبًا أصفر لا لأخرى منهنَّ وهكذا.

فحاصل المعنى هنا: عيَّنّا كلَّ شريعة لأمَّة معيَّنة من الأمم بحيث لا تتخطَّى أمَّة منهم شريعتها المعيَّنة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالًا ولا اشتراكًا[1].

نكتة التّعبير بـ(كلّ):

لم يَخْلُ قَرْنٌ من وحيٍ منير، ولا أُمَّةٌ من نذير

التَّعبير بـ(كُلِّ) يفيد العموم والشُّمول، وهذا في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: 24]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: 36].

فمِن رحمة الله تعالى أنَّه لم يخلق الخلق عبثًا، ولم يتركهم سدى، بل بيَّن لهم ما يتَّقون، وأرسل لهم الرُّسل يحذِّرون ويبشِّرون، وآتى كلَّ رسول برهانًا ودليلًا، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء: 15].

الغرض من تنكير ﴿أُمَّةٍ﴾:

خصَّ الله كلَّ أمَّة برسولٍ منهم ليكون بهم أرفق، وعليهم أشفق

التَّنكير في ﴿أُمَّةٍ﴾ يفيد التّعميم؛ أي: لكلِّ أمَّة معيَّنة من الأمم الخالية والباقية[2]، فخصَّ الله تعالى كلَّ أمَّة برسولٍ منهم ابتعثه فيهم، يعلمون أصله ونسبه وخُلُقه؛ ليكون بهم أرفق، وعليهم أشفق، وليكونوا به أخبر، وعلى التَّأسّي به أقدر؛ ولذلك سمَّى الله تعالى رسله المبعوثين لأممهم إخوة لأقوامهم.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.

فائدة التّعبير بفعل الجَعْل:

الجعل دالٌّ على العلم بالعواقب، والاقتدار التّام على شرع المذاهب

(جَعَلَ): لفظ عامٌّ في الأفعال كلِّها، وهو أعمُّ مِن (فَعَل)، و(صَنَعَ) وسائر أخواتها، وأصله: إيجاد الشَّيء أو تحويله إلى وضعٍ أو هيئة معيَّنة[1].

وقوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا﴾؛ أي: وضعنا وعيَّنّا[2]، فقد مكَّن الله تعالى لكلِّ قوم ما هُم فيه من المناسك التي بها انتظام الحياة[3].

والتَّعبير بالجَعل أفاد أنَّ المقصود بالأُمَّة والمنسك: مَن لهم ملَّة وشَرعٌ - وإن نُسِخ - من الأقوام السّابقين أو المعاصرين لنزول الوحي، دون المشركين[4]؛ لأنَّ الله تعالى لم يشرع لهم ما افتروه عليه، ودليل ذلك قوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة: 103]، فعبَّر بالجعل كذلك.

نكتة إسناد فعل الجعل لنون العظَمَة:

شرعُ العظيم عظيم، ومنهجه قويم، وصراطه مستقيم

أُسند فعل الجعل لنون العظمة في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَا﴾ لإفادة معنى التَّعظيم؛ أي: جعلنا بما لنا من العَظَمة[5].

وهذا التَّعظيم فيه دليل على عظمة الوحي والشَّرائع، وأنَّها أجدر أن يُتَّبع هديُها، وتُعَظَّم تعاليمُها، ويُقدَّس مُنزِلُها، وأنَّها إذا تضمَّنت بشارةً بشريعة تالية لها فحَقيقٌ أن تُصدَّق بشارتها.

نكتة تنكير ﴿مَنسَكًا﴾:

من حكمة الحكيم، ورحمة الرَّحيم، أن جعل لكلِّ أُمَّة منهاجًا وشِرعة

قوله تعالى: ﴿مَنسَكًا﴾؛ أي: شريعة خاصَّة لكلِّ أمَّة، لا لأمَّة أخرى منهم، على معنى: عيَّنّا كلَّ شريعة لأمَّة معيَّنة من الأمم بحيث لا

(1) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جعل).
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 88.
(4) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 311.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 88.

تتخطَّى أمَّة منهم شريعتها المعيَّنة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالًا ولا اشتراكًا[1]، فالتنكير للتَّخصيص والتَّعيين.

وذلك رحمة من الله سبحانه بعباده؛ إذ لو أخذهم الله جميعًا بشريعة واحدة منذ بدء الخليقة، لكان في ذلك إعْناتٌ لهم، وتضييق عليهم[2].

توجيه القراءات القرآنيَّة المتواترة في قوله تعالى: ﴿مَنسَكًا﴾ وبلاغتها:

مناسك التَّقرُّب موطوءة بأقدام العابدين، ومشاهد الاجتهاد معمورة بالسَّبّاقين

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قرأه حمزة والكسائيُّ بكسر السّين: ﴿مَنسِكًا﴾، وقرأ الباقون بفتحها: ﴿مَنسَكًا﴾، فالمنسِك بالكسر مَوضِع النُّسُك، كالمجلس مَوضِع الجلوس، وأمّا المنسَك بالفتح فهو على المصدر للنُّسك[3]، وقيل: هما لغتان، (مَنْسِك) بكسر السّين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و(مَنْسَك) بفتح الميم والسّين جميعًا، وذلك من لغة أسد، وقد قرئ باللُّغتين جميعًا[4]، ومن بلاغة القراءات هنا جمعها بين المكان والبيان؛ فكلّ أمّة كان لها مكان تعبدِّها، وطريقة تعبدها.

بلاغة المشاكلة في لفظ المنسك على شريعة النَّبيِّ ﷺ وعلى اختلاق المشركين:

لا شرع إلّا بوحي، ولا وحي إلّا برسول أو نبيّ

هذه الآية مقدّمة نهي النَّبيِّ ﷺ عمّا يوجب نزاع القوم؛ تسليةً له وتعظيمًا لأمره حيث جعل أمره منسكًا ودينًا، يعني: شأنك وشأن أمثالك من الأنبياء والمرسَلين عليهم السلام ترك المنازعة مع الجُهّال وتمكينهم من المناظرة المؤدّية إلى النِّزاع وملازمة الدَّعوة إلى التَّوحيد، أو لكلِّ أمَّة من الأمم الخالية المعاندة جعلنا طريقًا ودينًا هم ناسكوه فلا ينازعنَّك هؤلاء المجادِلة.

وقد سُمّي دأبهم نُسُكًا لإيجابهم ذلك على أنفسهم واستمرارهم عليه؛ تهكُّمًا بهم، ومُسلاةً لرسوله ﷺ ممّا كان يلقى منهم[5].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 9/ 1093.
(3) السمعاني، تفسير القرآن: 3/ 454، والهلال، الثري الجامع: 7/ 347.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 679، وابن الجزري، النشر: 2/ 326.
(5) الطيبي، فتوح الغيب: 10/ 526.

ولا يكون هذا إلّا على معنى أنَّ الله تعالى جعل لكلِّ أُمَّة نبيٍّ من الأنبياء شرعًا يتعبَّدون به، فمَن التزم به زاده الله هداية، وذلك كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد: 17]، وأمّا مَن أعرض عن شرع الله تعالى مختلقًا لنفسه شرعًا مبتدَعًا لم يُنزل الله تعالى به سلطانًا فقد أمدَّ الله له في غوايته، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: 75].

الموقع النّحويّ لقوله تعالى: ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾:

جملة ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ صفة لـ﴿مَنسَكًا﴾ مؤكِّدة للقَصر المستفاد من تقديم الجارِّ والمجرور على الفعل[1]، وفيه دليل على أنَّ الله تعالى شرع لكلِّ أُمَّة ما يناسبها، فلم يكلِّف الله تعالى نفسًا إلّا ما آتاها، فهذه حكمة بالغة، ورحمة سابغة.

شرع الله لكلّ أُمَّة ما يناسبها، وتلك حكمة بالغة، ورحمة سابغة

عود الضّمائر في قوله تعالى: ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾:

ضمير الرَّفع في قوله تعالى: ﴿هُمۡ نَاسِكُوهُۖ﴾ لكلِّ أمَّة باعتبار خصوصها، أي: (تلك الأمَّة المعيَّنة ناسكون به وعاملون، لا أمَّة أخرى)، فالأمَّة التي كانت مِن مبعث موسى إلى مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم ما في التَّوراة هم عاملون به لا غيرهم، والتي مِن مبعث عيسى عليه السلام إلى مبعث نبيِّنا ﷺ منسكهم ما في الإنجيل هم عاملون به لا غيرهم، وأمّا الأمَّة الموجودة عند مبعث النبي ﷺ ومَن بعدَهم مِن الموجودين إلى يوم القيامة فهُم أمَّة واحدة منسكهم ما في القرآن ليس إلّا[2].

شرعَ اللهُ دينه مفصَّلًا محدَّدًا، وجعل لكلِّ أهل ملَّة متعبَّدًا

وأمّا ضمير النَّصب فيعود على النُّسك، و﴿نَاسِكُوهُۖ﴾؛ أي: سالكون طريق العبادة الذي سُنَّ فيه[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 552، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185، والهرري، الحدائق: 18/ 412.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5023.

فائدة العدول عن قوله: (لينسكوه) إلى النّظم الحاليّ:

شرعُ الله ملتَزَم مِن المؤمنين، مهجور من الكافرين، مشغَّب عليه من المجادلين

التَّعبير بالاسم في قوله: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ للإشارة إلى أنَّ المراد به الحال[1]، وهذا لأنَّ الاسم يفيد الثَّبات والاستقرار، فحالة كلِّ أُمَّة أنَّهم ثابتون مستقرّون على شرعهم الذي شرع الله تعالى لهم، والضَّمير المنفصل ﴿هُمْ﴾ يفيد التَّوكيد[2].

ولو كان التَّعبير (لينسكوه) لكان المعنى أنَّ هذا الشَّرع شُرِع لهذه الأُمَّة المعيَّنة لينسكوه، دون التفات إلى مَن التزموه منهم ومَن تركوه وراءهم ظهريًّا.

أمّا قوله تعالى: ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ فقد أفاد التَّعبير عن حالتهم وصفتهم، وهذا ما لا يؤدّيه إلّا النَّظم المتلوُّ.

توجيه المتشابه اللّفظيّ:

قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾، مع قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ﴾ [الحجّ: 34].

الشَّرائع تُتَّبع ولا تُبتَدَع

إنَّما حذف الواوَ في قوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ لأنَّه لا تعلُّقَ لهذا الكلام بما قبله، فلا جَرَمَ حذَفَ العاطِفَ[3]، أمّا الآية السّابقة فقد وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النَّسائك، فعطفت على أخواتها[4].

فقصارى ذلك أنَّ الآية الأولى عُطفت على سابقتها لتعلُّقها بها، وخُتِمَت بما يناسبها من التَّوحيد وعدم الإشراك في التَّسمية على الذَّبائح، وعدم الابتداع في اختلاق الشَّرائع والأحكام.

أمّا الآية الثّانية ففُصِلَت عن سابقتها لعدم تعلُّقها بها، وخُتِمت بما يناسب معناها؛ إذ إنَّ المعنى المقصود منها بيان أنَّ الله تعالى

(1) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 311.
(2) الهلال، الثري الجامع: 7/ 347.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 248.
(4) الزمخشري، الكشاف: 3/ 196.

قد جعل لكلِّ قوم منسكًا هُم عاملون به؛ أي: شريعة ومتعبَّدًا، ومنهاجًا صالحًا يتلاءم مع مقتضيات الزَّمان والمكان، ومع سُنَّة التَّدرُّج، وإذا كان هذا هو الشَّأن في الشَّرائع، فلا ينبغي لمعاصريك أيُّها الرَّسول الكريم الخاتم أن ينازعوك في أمر الدّين، فلكلِّ أُمَّة شريعة خاصَّة تناسب الزَّمان الذي جاءت فيه، ثمَّ جاء هذا القرآن ناسخًا تلك الشَّرائع التي لم تعُد صالحة للعمل بها، وأدَّت دورها، وكانت مقصورة على أتباعها المتقدِّمين، فلا تتأثَّر أيُّها الرَّسول الكريم بمنازعتهم لك، ولا يصرفنَّك ذلك عمّا أنت عليه من الحقِّ، واثبُت على دينك ثباتًا لا يتزعزع ولا يلين.

والمراد بذلك تهييج حمية الرَّسول ﷺ، والمبالغة في تثبيته على دينه، فخُتِمَت الآية بما يناسبها من أمر الرَّسول ﷺ بالدَّعوة إلى ربِّه.

معنى الفاء في قوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فاء الفصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن شرط مقدَّر، تقديره: إذا عرفت أيُّها الرَّسول الكريم أنّا جعلنا لكلِّ أُمَّة منسكًا، وأردتَ بيان ما هو اللّازم لمعاصريك، فأقول لك: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾؛ أي: لا يخاصمنَّك مَن يعاصرك مِن أهل المِلَلِ؛ فإنَّ منازعتَهم لك فيما جئت به من عند ربِّك، يدلُّ على جهلهم وسوء تفكيرهم؛ لأنَّ ما جئت به من عند ربِّك مصدِّق لشريعتهم، ومهيمن عليها، وناسخ لها[1].

الشَّريعة المحمَّديَّة ناسخة لما سبقها من الشَّرائع ناسخة

وقد أفادت هذه الفاء ترتيب النَّهي على ما قبله؛ أي: إذا كان لكلِّ أُمَّة دين، ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2]؛ فإنَّ تعيينه تعالى لكل أمَّة

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5023، والهرري، الحدائق: 18/ 412، وطنطاوي، الوسيط: 9/ 339.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والشوكاني، فتح القدير: 3/ 553، والقنوجي، فتح البيان: 9/ 80.

من الأمم التي من جملتها أمَّته ﷺ شريعة مستقلَّة بحيث لا تتخطَّى أمَّة منهم ما عيِّن لها موجِب لطاعة هؤلاء له ﷺ وعدم منازعتهم إيّاه في أمر الدّين زعمًا منهم أنَّ شريعتهم ما عيِّن لآبائهم ممّا في التَّوراة والإنجيل فإنَّ ذلك شريعة لمَن مضى قبل انتساخه وهؤلاء أمَّة مستقلَّة شريعتهم ما في القرآن فحسب[1].

دلالة النّهي في قوله: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾:

شـرائـع الـلـه أوضـح مـن أن تُـجـادَل، فلا يُلتَفَت فيها إلى منازِع أو مجادِل

النَّهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ إمّا أن يكون نهيًا لرسول الله ﷺ؛ أي: (لا تلتفت إلى قولهم، ولا تمكِّنهم من المناظَرة المؤدّية إلى نزاعهم، فإنَّها إنَّما تنفع طالبَ الحقِّ، وهؤلاء أهلُ مِراء، فلا تبدأهم بمنازعتك، أو لا تنازِعْهم فينازعوك)، وهذا جائز في أفعال المغالَبة للتَّلازُم؛ لأنَّ المنازعَة والمجادَلة والمخاصَمة لا تتمُّ إلّا باثنين، فإذا قلتَ: لا يُنازِعَنَّك فلانٌ، فهو بمنزلة: لا تُنازِعنَّه، فحذف الأوَّل لدلالة الثّاني عليه، ولا يجوز هذا في قولك: لا يضربَنَّكَ فلانٌ، وأنت تريد: لا تضرِبْه، ولكن لو قلتَ: لا يُضارِبنَّكَ فلانٌ لكان كقولك: لا تُضارِبَنَّ فلانًا[2].

فالنَّهي ظاهرُه موجَّه إلى النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ ما أُعطيَه من الحُجَج كافٍ في قطع منازعة معارضيه، فالمعارِضون هم المقصودون بالنَّهي، ولكن لمّا كان سبب نهيهم هو ما عند الرَّسول ﷺ من الحجج وُجِّه إليه النَّهي عن منازعتهم إيّاه، كأنَّه قيل: فلا تترك لهم ما ينازعونك به، وهو من باب قول العرب: لا أعرفنَّك تفعل كذا؛ أي: لا تفعل فأعرفك، ولا أرينَّكَ هاهنا؛ أي: لا تكن هنا فأراك، فجعل المتكلِّم النَّهي موجَّهًا إلى نفسه، والمراد نهي السّامع عن أسبابه، وهو نهيٌ للغير بطريق الكناية[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 118، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 185.
(2) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/ 437، والزمخشري، الكشاف: 3/ 196، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 78، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/ 453.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 328.

وإمّا أن يكون النَّهي زجرًا لهم عن التَّعرُّض لرسول الله ﷺ بالمنازعة في الدّين وهم جُهّال لا علم عندهم، ففيها معنى احتقار الفاعل، وأنَّه أقلُّ من أن يفاعَل[1].

نكتة التّوكيد في قوله تعالى: ﴿يُنَٰزِعُنَّكَ﴾:

الإسلام أظهر مِن أن يقبل النِّزاع، فأدلَّته تبهر الأبصار والأسماع

في التوكيد بنون التّوكيد الثّقيلة في الفعل ﴿يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ الذي هو نهي للنَّبيِّ ﷺ عن تمكينهم من منازعته، أو لأهل الكتاب عن المنازعة في حضور النَّبيِّ ﷺ ومخاطبته، أمران:

أوّلهما: تيئيس أهل الكتاب من أن يكون لهم شأن في هذا الأمر، وأنَّهم إذا أرادوا أن يكون لهم شأن فيه، فلْيسلِموا له، ولْيأخذوا بما جاء به، ولْيجعلوا ما بين أيديهم مِن شرعٍ تبعًا لهذا الأمر أو الشَّرع.

وثانيهما: عزل النَّبيِّ الكريم ﷺ عن جدل أهل الكتاب، وعن الاستماع إلى مقولاتهم، والنَّظر إلى ما عندهم؛ إذ إنَّ عنده الأمر كلَّه، ومن كان عنده الأصل، فلا ينظر إلى الفرع[2].

دلالة التّعبير بـ﴿فِي﴾ الظّرفيّة:

ولج المجادلون في دقائق الأمر ليُشكِّكوا، ولو طلبوا الهُدَى لصدَّقوا

التَّعبير بـ﴿فِي﴾ الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْأَمْرِ﴾ يفيد أنَّ القوم لم يقفوا على ظاهر الأمر في جدالهم، وإنَّما ولجوا في دقائقه وتفاصيله بغية أن يضربوا بعضها ببعض، فيشكِّكوا المسلمين في دينهم، ويصدّوا النّاس عن سبيل ربِّهم، فنهى الله رسوله ﷺ عن منازعتهم؛ كي لا يجعل لهم موطئ قدم في بلاط الإسلام القدسيِّ.

معنى (أل) في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَمْرِ﴾:

في أمر الدّين كثُر جدال المبطلين

التَّعريف في ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ للعهد[3]؛ أي: فلا ينازعنَّك هؤلاء المشركون بالله أيُّها الرَّسول في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتأكلون ما قتلتم، ولا

(1) الزمخشري، الكشاف: 3/ 196، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 132.
(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 9/ 1094.
(3) الشّهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الرّاضي: 6/ 311.

تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فإنَّك أولى بالحقِّ منهم؛ لأنَّك محقٌّ وهم مبطلون[1]، ولا ينازعنَّك أهل الكتاب في أمر دينك زعمًا منهم أنَّ شريعتهم ما عيَّن لآبائهم الأوَّلين من التَّوراة والإنجيل فإنَّهما شريعتان لمَن مضى مِن الأمم قبل انتساخها، وهؤلاء أُمَّة مستقلَّة، منسكهم القرآن المجيد فحسب[2]، فلا أمْرَ ولا شرْعَ بعد هذا، وهذا هو السِّرُّ في تعريف الأمر[3].

فائدة عطف قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾:

المكابَرَة تُجافي الاقتناع، والاستمرار في الدَّعوة أولَى بالاتِّباع

قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ معطوف على قوله سبحانه: ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾، حيث عُطف على انتهاء المنازعة في الدّين الأمرُ بالدَّوام على الدَّعوة وعدم الاكتفاء بظهور الحُجَّة؛ لأنَّ المكابرة تجافي الاقتناع، ولأنَّ في الدَّوام على الدَّعوة فوائد للنّاس أجمعين[4].

دلالة الأمر في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ﴾:

الثَّبات على شرعة الإسلام فهي الطَّريق القويم، والمنهاج المستقيم

قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي: دُم على الدُّعاء إلى الله، والتَّمسُّك بدينه القويم[5]، واثبت على دينك ثباتًا لا يطمعون أن يخدعوك عنه، أو معناه: ثابر على الدَّعوة إلى ما أُمرت به، فلا تضرُّك منازعتهم، وعلى الكلِّ اتِّباعك وعدم مخالفتك، لاستقرار الأمر على شرعتك؛ لأنَّها الطَّريق القويم[6]، فالأمر للإرشاد.

نكتة حذف مفعول ﴿وَٱدۡعُ﴾:

في الحذف إيذان بالتَّعميم؛ ليُدعَى الجميع إلى الصِّراط المستقيم

في حذف مفعول ﴿وَٱدۡعُ﴾ إيذان بالتَّعميم[7]؛ أي: وادع هؤلاء

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 679.
(2) الهرري، الحدائق: 18/ 412.
(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 9/ 1094.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 329.
(5) ابن عجيبة، البحر المديد: 3/ 552.
(6) القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 273.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 329.

المنازِعين، أو ادع النّاس على العموم[1]؛ أي: لا تخصَّ بالدُّعاء أمَّة دون أمَّة فكلُّهم أُمَّتك فادْعُهم إلى شريعتك فإنَّك على هُدًى مستقيم[2].

فائدة التّعبير بلفظ الرّبوبيّة مضافًا إلى ضميره ﷺ:

في الرُّبوبيَّة معاني الرِّعاية، وأوثِرت بعد الأمر للتَّثبيت والعناية

قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾؛ أي: المحسن إليك بإرسالك[3]، فالتَّعبير بلفظ الرُّبوبيَّة لما في الرُّبوبيَّة من معاني العناية والرِّعاية والتَّربية والإحسان، وفي هذا من اللُّطف ما فيه؛ فإنَّ الله تعالى أمر نبيَّه ﷺ أن يدعو النّاس إلى دينه وشرعه، ولمّا كان النّاس منهم المعرِض، ومنهم المعاند، ومنهم المحارب، وكان ذلك ربَّما أحزن النَّبيَّ الكريم ﷺ وأقلقه، جاء لفظ الرُّبوبيَّة كأنَّما يثلج صدر النَّبيِّ ﷺ، ويربِّت على كتفه، ويقول له في حنوٍّ بالغ: إنَّ ربَّك معك، ولن يتركك، وهو مؤيِّدك وناصرك ومانعك، فسِر في طريقِك وانشُر دعوتك في الأرض، فإنَّ معك السَّماء.

بلاغة الإيجاز بحذف المضاف في: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾:

في الحذف دلالة على التَّعميم، وفي ذكر المضاف إليه تفخيم وتعظيم

قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾؛ أي: ادعُ منازعيك من المشركين وأهل الكتاب إلى توحيد ربِّك والإيمان به[4]، وادعهم إلى هذا الدّين فإنَّك من حيث الدِّلالة على طريقة واضحة[5].

ففي حذف المضاف دلالة على العموم، فكأنَّ الدَّعوة شاملة لكلِّ ما يتَّصل بالله ﷻ، فهو حريٌّ بأن يُحفَد إليه، ويُفرَّ إليه، ويُقَرَّ لديه، كيف لا وهو ربُّ العالمين!

---

(1) القنوجي، فتح البيان: 9/ 80.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 249.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 89.

(4) مكي، الهداية: 7/ 4930، والبغوي، معالم التنزيل: 5/ 399، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 94.

(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 249.

نكتة فصل في خاتمة الآية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ جملة استئنافيَّة في موضوع التَّعليل، للدَّوام على الدَّعوة وأنَّها قائمة مقام فاء التَّعليل لا لردِّ الشَّكِّ[1].

الغرض من تتابع المؤكّدات في: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾:

عند دعوة المجادلين في أمور الدّين يحسن توكيد الخطاب لتعضيد الجواب

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ عدد من المؤكِّدات يتمثَّل في الحرف المشبَّه بالفعل (إنَّ)، وهو يقوم مقام تكرير الجملة مرَّتين، وفي اللّام المزحلَقَة الدّاخلة على خبر إنَّ، وهو قوله تعالى: ﴿لَعَلَىٰ﴾، وكذلك في الجملة الاسميَّة المفيدة معنى الثُّبوت والاستقرار، وكذلك كمن خلال وصف الهدى بالاستقامة تأكيدًا لمضمونه.

وهذا الجمع من المؤكِّدات جاء مناسبًا لما عند المنازعين المجادلين في أمر الدّين من الإنكار، فلذلك جاء الكلام مؤكَّدًا بأكثر من مؤكِّد[2].

معنى اللّام في: ﴿لَعَلَىٰ﴾:

يحتاج الدّاعية إلى تثبيت، والمنكِرُ إلى توكيد أو تبكيت

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَعَلَىٰ﴾ هي اللّام المزحلَقَة الدّاخلة على خبر (إنَّ) لإفادة معنى التَّوكيد[3]؛ تثبيتًا لقلب النَّبيِّ ﷺ لأنَّه سيواجه في دعوته معرضين ومنكرين ومجادلين، وهذا ممّا يحتاج تثبيتًا لقلبه الشَّريف ﷺ، ولكون الكلام إذا وُجِّه إلى منكِرينَ فيَحْسُن تدعيمُه إزالةً لإنكارهم؛ فلذلك أُكِّد الكلام باللّام.

بلاغة الاستعارة في التّعبير بـ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾:

استمكن النَّبيُّ ﷺ من الهدى وارتضاه لتثبيت الله تعالى إيّاه

في التَّعبير بالحرف (على) في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ مستعارة للتَّمكُّن من الهدى[4]؛ أي: وإنَّك في نسكك

(1) والآلوسي، روح المعاني: 9/ 188، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 330.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 90.
(3) الهلال، الثري الجامع: 7/ 348.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 330.

وشريعتك لمُتمكِّن من هدايتك المستقيمة تمكُّنَ مَن كان فوق الهداية مستمكنًا منها كالقائم عليها والجالس عليها، ووصف سبحانه الهدى الذي استمكن منه ﷺ واقتعده بالاستقامة، والاستقامة وصف للحقِّ، ولكلِّ هداية[1].

نكتة تنكير ﴿هُدًى﴾:

جاء لفظ ﴿هُدًى﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ نكرة لإفادة التَّعظيم بقرينة وصفه بالاستقامة، ووقوعه في سياق المدح، وكلُّ هدًى من الله عظيم.

بلاغة الاستعارة في وصف الهدى بالاستقامة:

الهدى واضحة معالمه فهو مستبين، كالطَّريق ثابت تحت أقدام السّالكين

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾؛ أي؛ طريق موصل إلى الحقِّ، ووصفه بالمستقيم استعارة مكنيَّة، حيث شبَّه الهدى بالطَّريق الموصل إلى المطلوب، ورمز إليه بالمستقيم؛ لأنَّ المستقيم أسرع إيصالًا، فدين الإسلام أيسر الشَّرائع في الإيصال إلى الكمال النَّفسانيِّ الذي هو غاية الأديان[2]، أو فيه استعارة تخييليَّة في (على)، أو أحدهما تخييل والآخر ترشيح، ثمَّ المراد بهذا الطَّريق إمّا الدّين والشَّريعة أو أدلَّتها[3].

فائدة وصف الهدى بالاستقامة:

استقامة طريق الهُدى تقرِّب إلى الجنَّة السَّبيل، وترشد السّالِكَه بالبرهان والدَّليل

أفاد وصف الهدى بالاستقامة أنَّه إرشاد بوجود قريب؛ لأنَّ المستقيم هو أقرب إيصالًا للمطلوب من غيره من الطُّرق الملتفَّة أو الملتوية[4]، وفيه إشارة أيضًا إلى أنَّ ما في أيدي أهل الكتاب من شريعةٍ غيرُ مستقيمة، وذلك بما أدخلوا عليها من زيف وضلال[5].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 5023.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 330.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 187.
(4) ابن عرفة، تفسير القرآن: 3/ 198.
(5) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 9/ 1094.

أمّا شريعة النَّبيِّ ﷺ فموصوفة بالاستقامة؛ لأنَّها هدى من الله شرعه لخلقه[1].

بلاغة الإدماج في تذييل الآية:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ أي: إنَّك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجَّة الحقِّ والصَّواب في نسكك الذي جعله ربُّك لك ولأُمَّتك، أمّا منازعوك فهُم الضُّلّال عن قصد السَّبيل؛ وذلك لمخالفتهم أمرَ الله سبحانه في ذبائحهم وعبادتهم الآلهةَ، وإعراضهم عن اتِّباع شرعك القويم[2].

المؤمنون على الصِّراط المستقيم سائرون والمعاندون عنه ناكبون

ففيه إدماج بالتَّعريض بخطأ المشركين وأهل الكتاب وضلالهم وأنَّهم على صراط معوجٍّ مع أنَّ في قوله: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ إرشادًا لأجوبة المعترضين على جزئيّات الشَّرع بالعقل الصَّحيح، فإنَّ الهدى وصفٌ لكلِّ ما جاء به الرَّسول الكريم ﷺ، والهدى: ما تحصل به الهداية من مسائل الأصول والفروع، وهي المسائل التي يُعرف حُسْنُها وعدلُها وحكمتُها بالعقل والفطرة السَّليمة، وهذا يُعرف بتدبُّر تفاصيل المأمورات والمنهيّات[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الشّعيرة والمنسك:

النّون والسّين والكاف أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على عبادة وتقرُّب إلى الله تعالى[4].

الشعيرة من الإعلام، والمَنسك من العبادة

والنُّسُك: العبادة والطاعة وكلُّ ما تُقُرِّب به إلى الله تعالى، والناسك: العابد[5]، واختُصَّ بأعمال الحجّ[6]، والمناسك: عباداتُ

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 16/ 9922.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 680.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 545.
(4) ابن فارس، المقاييس: (نسك).
(5) الخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (نسك).
(6) الراغب، المفردات: (نسك).

الحجِّ وأماكنُها[1]، والنَّسيكة: الذَّبيحة التي يُتقرَّب بها إلى الله ﷻ، والمنسَك: الموضع الذي يُذبَح فيه النَّسائك، ولا يكون ذلك إلا في القربان[2].

أمّا الشعيرة فمِمّا يدلُّ عليه جذرها العِلم والعَلم[3]، والشَّعيرة في الأصل: العلامة، فسمّيتْ مواضعُ الحجِّ وأفعاله شعائرَ؛ لأنَّها علامات، واشتقاقها من الشعور وهو العِلم[4]، أو من الإشعار وهو الإعلام على الشيء[5]، ولهذا تُسمَّى البَدَنة التي تُهدَى: شعيرةً؛ لأنَّها تُشعَر بغرز حديدة في سنامها من جانبها الأيمن حتّى يخرج الدم؛ فيُعلَم أنَّها هَدْي[6]، وعند ذَبحها تقرُّبًا لله ﷻ تُسمَّى: نسيكةً، ويحتمل أن يكون اشتقاق الشعائر من الإعلام بالشيء، قال الله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: 158]؛ أي: مِن الخبر الذي أخبركم عنه، كأنَّه إعلام من الله تعالى عبادَه أمرَ الصَّفا والمروة[7].

وشعائر الله يُعنَى بها جميع متعبَّدات الله التي أشعرَها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا، مِن الموقف والسَّعي والنَّحر[8].

والشعيرة: كلُّ ما جُعِل عَلَمًا لطاعة الله تعالى[9]، وكلُّ ما كان مَعلمًا لقربان يُتقرَّب به إلى الله ﷻ من صلاة ودعاء وذبيحة فهو شعيرة[10]، والطَّواف يُسمَّى شعيرة؛ لأنَّ الناسَ علموه طوافًا بالطريقة التي يؤدَّى بها، وهو دوران الحاجّ أو المعتمر حول الكعبة سبع دورات من الحَجر الأسود إلى أن ينتهي إليه، ويكون البيت الحرام على يساره، ويُسمَّى أيضًا نُسكًا؛ لأنَّ القيامَ بهذا العمل مع النيَّة يُتِمّان تأدية ركن من أركان الحجّ، وهذا هو حال مواضع الحجّ وأعماله وأركانه؛ فإذا قُصِد منها الإعلام سُمّيت: شعائر، وإذا قُصِد منها معنى العبادة سُمّيت: مناسك[11].

(1) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نسك).
(2) ابن فارس، المقاييس: (نسك).
(3) ابن فارس، المقاييس: (شعر).
(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شعر).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 3/ 436.
(6) الواحدي، التفسير البسيط: 3/ 436، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/ 180، والخليل، العين، والأزهري، التهذيب، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، المقاييس، والراغب، المفردات: (شعر).
(7) الواحدي، التفسير البسيط: 3/ 436.
(8) الأزهري، التهذيب: (شعر)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/ 180.
(9) الجوهري، الصحاح: (شعر).
(10) البغوي، معالم التنزيل: 1/ 172.
(11) عبد الجبار فتحي زيدان، الفروق اللغوية في القرآن الكريم، ص: 756.

المنازعة والخصومة والاختلاف:

المنازعة مجاذَبةٌ لاقتلاع، والخصومة تعلُّقٌ بجانب، والاختلاف تَنحيةٌ وإقامة

النّون والزّاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على قَلعِ شيءٍ[1]، والمعنى المحوريّ لهذا الجذر: اقتلاعٌ بجذب قويّ للشيء[2]، والمنازعة: المجاذَبة في الخصومة[3]، وكلٌّ فيها يريد أن يقتلعَ أمرًا من الآخر[4].

أمّا الخصومة فأصلها من خُصْم الآخر وغيره وهو ناحيتُه وجانبُه، وذلك أنَّ كلًّا من المتخاصمَيْنِ يأخذ في جانبٍ غير الذي أخذ به الآخر[5]، وقيل للخَصْمين: خَصْمان؛ لأخْذِ كلِّ واحدٍ منهما في شِقٍّ من الحِجاج والدَّعوَى[6].

وأمّا الاختلاف فمِمّا يدلُّ عليه جذره أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقومُ مقامَه، والاختلاف من هذا الباب؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ من المختلفَيْنِ يُنَحّي قولَ الآخر، ويُقيم نفسَه مقام الذي نحّاه[7]، والاختلاف: ذهاب كلٍّ إلى خلافِ ما ذهب إليه الآخر[8]، وهو عدم الاجتماع على رأي أو موقف أو حكم إلخ، وكأنَّ كلًّا يذهب إلى ما جعله الآخر خَلْفه[9].

(1) ابن فارس، المقاييس: (نزع).
(2) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نزع).
(3) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، اللسان: (نزع).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (نزع).
(5) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خصم).
(6) الأزهري، التهذيب، وابن منظور، اللسان: (خصم).
(7) ابن فارس، المقاييس: (خلف).
(8) البغوي، معالم التنزيل: 5/ 399، والآلوسي، روح المعاني: 9/ 188، والراغب، المفردات: (خلف).
(9) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (خلف).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»